دروس في سوسيولوجيا الفن

(السنة أولى جذع مشترك، قسم الفنون)

الدكتورة باحفيظ سنوسية

الموسم الجامعي

2020-2021

البرنامج: 1- ارتباط الفن بالمجتمع

2- من سوسيولوجيا الأدب إلى سوسيولوجيا الفن

3- النظرياتالسوسيولوجية أو نحو جمالية سوسيولوجية

4- التراث الماركسي

5- لوسيان غولدمان وكتابه الإله الخفي

6- مدرسة القداسة عند فالتر بن يامين

7- سوسيولوجيا بيار فرنكاستل

8- فرنكاستل من الفن إلى الاجتماعي

9- نقد الجيل الأول من السوسيولوجيين

(توطئة)

ارتباط الفن بالمجتمع عبر التاريخ

لا يبدو مستحيلا تسجيل ذلك الارتباط الوثيق بين الفن منذ نشأته الأولى بحياة الإنسان، بما تشمله من سعي لفك العزلة عن الآخرين والارتباط بهم من خلال التعبير عن الذات وما تحمله من مخاوف وهواجس إزاء الطبيعة، في عمليات رسمه على كهوف الجبال ونحته في حجارتها، لرسومات تصوّر انتصاره على الحيوانات الشرسة أثناء عملية الصّيد وقد كان يقوم بتلك الرسومات قبل عملية الصيد ليتخلّص من مخاوفه ويشحذ همّته ليقوم بمغامراته في الطبيعة.

وقد ارتبط الإنسان بالآخرين من خلال طقوس الرّقص، حيث تكون التجمعات البشرية خير دليل على اجتماعية الإنسان. وتعزى البدايات الأولى لفن المسرح لمثل هذه الطقوس والتجمعات، حيث يلاحظ أرسطو في كتابه "فن الشعر" وفي الجزء الذي خصّصه للتراجيديا أن "الإغريق" قد عرفوا نوعين من الطقوس سمّاها ب"الدثرامبية" وكانت أولاها بدائية تقوم على العشوائية نظرا لأنها كانت تستعمل موسيقى صاخبة من قرع على الطبول غير متجانس مع الغناء، والذي كان بدور لا يحتوي على أشعار منظّمة، غير أنّ هذه القوس كانت نواة لنوع آخر سمّاه "أرسطو" ب"الأدبي" وفيه تحسّنت المنظومة الشعرية ودخلت آلة الناي لتضفي على الطقس جمالية، كما هذّب الرّقص بتحديد الشكل الدّائري وتقليص عدد الرّاقصين، حيث انقسم النّاس بحسب تنظيرات الرّائد "آريون" إلى راقصين ومتفرّجين؛ فكان إذن التطهير من خلال الرقص ومن خلال الفرجة أيضا، وكل هذا اعتبر نواة أولى لفن المسرح وهو أيضا خير دليل على أنّ هذا الفن ينبع من عامة النّاس أولا ويوفّر لهم الفرجة والجمالية والتطهير ثانيا.

لقد أثبت تاريخ الفن ضعف النّماذج الفنية التي لم تكن نابعة من مجتمعاتها؛ فشكل الفنّ يتحدّد تبعا لمضمونه، أي المضمون المعاصر والاجتماعي أيضا، وحتى إذا كانت المضامين من التاريخ فلا بد من تحرّي الحقائق بصدق وموضوعية، لأن الفنّ يساوي الجمالية والجمالية تستدعي أن يكون الشكل وعاء موضوعيا للمضمون.

فالرومان لما قلّدوا الفلسفة الإغريقية عبر رائدهم "هوراس"الذي أعاد أفكار أرسطو وطلب من معاصريه تقليد الفن الإغريقي؛ فإن الضعف كان حليفا لفنّ اختار أن يستورد أشكالا جاهزة قد لا تستوعب مضامين رومانية في ذاتها.

وكان هذا ما فعله فنّانو "النهضة" و"الكلاسيكية الجديدة" حيث سيّدوا الشكل أو الصنعة على حساب المضمون؛ فلم يكن فنهم يوازي ذلك الرّقي الجمالي الذي خلّد الفن الإغريقي كما أكّده مفكر عصر الأنوار "فردريك هيغل" في ق. 18م.

وفي الوقت الذي سعى فيه "بيكاسو" إلى تجريد لوحته "أوانس أفنيون" من صفتها الاجتماعية، حيث حوّلها إلى لوحة تكعيبية؛ فإنه قد عزل لوحته هذه عن المجتمع وحوّلها إلى قطعة فنية قد تخلّت عن مضمونها الاجتماعي، الذي كان سهل الفهم إلى لوحة لا يفهمها إلا راسمها، وهكذا فإنّ التكعيبية انتصرت للشكل على حساب المضمون وقد أضحى من الصعب معها التواصل الوجداني مع المتلقي.

لم يكن بيكاسو من أنصار الشكل بقدر ما كان يهمه إخفاء موضوعه، حيث اعترف أنّه قد حزّ في نفسه أن تعرف الأوانس اللائي رسمهن بصفاتهن لكل الناس، ولكنّه بذلك كان قد نصر نظرية "كانط" الشكلية، حيث كان كانط لا يفضل المضامين، وإنّما يحبذ الأشكال الخاصة كالنحوت والزخارف ويجرّد الجمال من المنفعة ويقول بنظرية "الفن للفن" في وجه مجتمع بورجوازي، أراد أن يستعمل الفن لأغراض لا تخدم عامة الناس، وفي نفس القرن جاء من يعيد الفن والأدب إلى اتجاه البراغماتية الاجتماعية.